غياب مجلة

زمان السكوت وملازمة البيوت؟*

سماح ادريس

في افتتاحية مجلّة **الناقد** لعددها الأخير الصادر في حزيران الماضي، وفي المقابلة غير المباشرة التي أجرَتها أسرةُ تحرير **ملحق النهار** مع رئيس تحرير **الناقد** الأستاذ رياض نجيب الريِّس، الكثيرُ مِن الحَقائق والملاحظات الصائبة والمحزنة؛ وهي التي دَفَعت بالأستاذ الريِّس – حسب قوله – إلى إغلاق مجلّته بعد سبع سنواتٍ لم تتوقَّف خلالها شهراً واحداً (وهذا في حدّ ذاته أمرٌ مثيرٌ للإعجاب في هذه المرحلة بالذات) حاملةً أسماء ١٠٦٣ كاتباً مِن ١٩ بلداً عربياً[١] و ١٥٩ فناناً ورساماً عربياً.

غير أنّ في الافتتاحية والمقابلة المذكورتيْن عدداً مِن الآراء والنَّظريات التي أجد نفسي – بوصفي مديراً منذ ثلاث سنوات لمجلةٍ زميلة لـ **الناقد** هي **الآداب**[٢] – مُلزَماً بإبرازها ومناقشتها.

فأما أسباب حَجْب مجلة **الناقد**، فيمكن اختصارها – بحسب الافتتاحيَّة والمقابلة المذكورتيْن – إلى أربعة عشر سبباً:

١ – تطرُّف **الناقد** في أطروحاتها الحداثيّة، بما لا يتلاءم مع أفكار «جيوش الرجعيّة» و «أعداء الانفتاح الفكري» و «إرهاب الظلاميين».

٢ – سبب فلسفي وجودي: «كل الأشياء الجميلة لا بدّ لها مِن نهاية»، و «**الناقد** واحدة مِن هذه الأشياء الجميلة».

٣ – الرقابة العربيّة.

٤ – الرقابة الذاتية.

٥ – «طبيعة» المجلة الثقافية الفاعلة في العالم كلِّه؛ فمثل هذه المجلة الفاعلة «لا تُعمِّر طويلاً».

٦ – الثقافة في العالم كلّه في معاناة؛ وكذلك المثقفون.

٧ – **الناقد** أنهت مهمتها المتمثّلة في: تحريك «مستنقع الثقافة العربية الآسن»، و «إيجاد جيل أدبي جديد، واكتشاف مجموعة مِن الكتّاب الجدد، [والتحريض] على الوصول إلى مبدعين جدد ...».

٨ – تخلّي المثقفين العرب عن «أدوارهم».

٩ – سبب مادّي.

١٠ – رغبة الريِّس في إيجاد «صيغة جديدة» تتناسب مع التغيُّرات التي تواجه العالم العربي.

١١ – رغبتُه في «ترتيب أوضاع بيت **الناقد**» بعد أن بدأت مظاهر «التعَب والتململ» تلوح على صفحاتها، وحفاظاً عليها مِن «التشوُّه والابتذال».

١٢ – شعور الريِّس بوجود «نقص نوعيّ» بين كتّاب مجلّته.

١٣ – لم تحسن بيروت «وفادة **الناقد**»؛ بل صارت هذه المدينة تضيق «بالأفكار والأقلام والشعر والشعراء».

١٤ – خيبة أمل الريِّس مِن التطوُّرات التي أعقبتْ تصدّع «الامبراطورية السوفياتية»، وهي التطوّرات التي كان يؤمِّل أن تنعكس ايجاباً على الوطن العربي وثقافته.

* * *

لن يكون مِن المبالغة في شيء القول بأنّ افتتاحية **الناقد** المذكورة – كما المقابلة غير المباشرة التي أجراها **الملحق** مع الأستاذ الريِّس – بيانُ هزيمة للصحافة الثقافية العربيّة المستقلّة. ولا شكّ أنّ ما يدفع المرء لأن يحجب مجلّةً ثقافية مستقلّة يفوق في خطورته وأثره ما يدفعه لأن يواصل إصدارها:

---

* نُشرتْ هذه المقالة في «ملحق **النهار**» البيروتية في ٢٢ تموز الماضي.

(١) اعتبر الريِّس إيران بلداً عربياً، فهنيئاً لها ولنا بالعروبة!

(٢) شعوري بالزمالة الأدبيّة، ولاسيما أثناء الأزمة التي تعيشها **الناقد** ونعيشُها معها، لا يقابله (ويا للأسف) أيُّ شعورٍ مِنْ لدن أسرة **الناقد** أو بعض أفرادها. راجع على سبيل المثال ما كتبه محرِّر (أو محرِّرا) زاوية «قراءات **الناقد**» (العدد ٧٤، آب ١٩٩٤) بعد قرار الاتحاد العام للكتاب العرب تكريمَ **الآداب** بمناسبة مرور أكثر مِن أربعين عاماً على إنشائها؛ فهذه المقالة تَرْثي لحياة **الآداب** واستمرارها وتدعوها – بشكل غير مباشر – إلى الموت!

فالقمع العربي إلى مزيد؛ والمتغيّرات الإقليمية تُنذر بأسوأ مما هو سائد («تارةً باسم السلام، وتارةً تحت راية التطبيع، وطوراً باسم النظام العالمي الجديد وشرق أوسطيّته...») كما يقول الريّس)؛ والرقابة العربيّة إلى استهتار وحماقة متزايديْن؛ وهناك أعدادٌ متزايدة مِن المثقفين العرب ينخرطون في الصحف والمجلات النظاميّة العربيّة وينظِّرون للهزيمة (باسم «الواقعيّة») ولنهاية الأحلام والمشاريع القومية والإنسانية الكبيرة (باسم «نهاية التاريخ» أو «موت الايديولوجيا»)؛ وبيروت تُعرّى – يوميّاً – مِن تاريخها وشَغَبها ومظاهراتها وعفويّتها، وتُكسَى حَريراً سعوديّاً وباطوناً مُقَزِّزاً للنفس. إنّ إغلاق مجلة **الناقد** إقراراً بما لا لزوم لإقراره؛ ومع ذلك فثمّة رغبةٌ لدى كلّ صاحب مؤسسة ثقافية مستقلة في أن يؤكّد لنفسه يومياً بأنّه إلى ضعفٍ وربّما إلى زوال!

لذلك، وقبل أن أناقش أسبابَ إغلاق **الناقد** (ففي بعض تلك الأسباب – كما سأوضح – ما لا يُقنع وهو لا يبرِّر خطوةً بهذه الخطورة)، أوّد أن أعبّر عن وقوف مجلة **الآداب** إلى جانب زميلتها **الناقد** في محنتها / محنتنا المستجدّة.

* * *

وإذ أناقش، الآن، أسباب غياب **الناقد** كما حدّدها الأستاذ الريّس، فإني أُوثر أن أبدأ بالعامل المادّي. والسبب هو أنّ المشكلة الحقيقية الأولى التي تُواجه الصحافة الثقافية المستقلّة – حين تكون مستقلّة حقّاً، لا ادّعاء – هي المشكلة المادّية. والريّس يترفّعُ عن أن يردّ سببَ احتجاب **الناقد**، بالأساس، إلى العامل المادّي[٣]؛ ولكنّه يتذمّر من جملة أُمورٍ تحيل هي نفسها على مشاكل ماديّة: كـ «اقتصار توزيع [مجلته] على ثلاثة بلدان فقط»، و «مصادرة الرقابة» للأعداد [والكتب]، و«محدوديّة القدرة الشرائية» لدى القارئ العربيّ ... هذا إذا لم يتذمّر من نقص ذات اليد تذمُّراً مباشراً في أماكن أخرى مِن الافتتاحية: «حسابات مكشوفة في المصارف»؛ «أرباح لم تتحقّق وخسائر لا تُردم»؛ «ليس وراء **الناقد** ثريٌّ عربي ولا محسن كريم ولا حكومة مؤيدة ... ولا مؤسسة مِن أيّ جنسيّة أو نوعٍ كان ...» (ص٥).

والحقّ أنني لا أدري سبباً لترجُّح الأستاذ الريّس بين الترفُّع والتذمُّر، ولاسيّما أنّ «الحسابات مكشوفة في المصارف» كما يقول. ولا أدري لماذا يغمط – فجأةً – حقَّ مؤسّسة زميلة مسؤولة بشكل مباشر عن إصدار **الناقد**، وهي «شركة رياض الريّس للكتب والنشر» .. وأنا أتساءَل: لماذا لا يدخِل حسابات المجلّة في حسابات دار نَشرِه، فيعوِّض بعضَ خسارة الأُولى من ربح الثانية؟ وإذا كانَ لي – كزميل تحرير – أن أتدخّل فيما لا يعنيني، فأنا أقترح على الأستاذ الريّس الخطوات البسيطة التالية الآيلة إلى تخفيض كلفة مجلّته ... علماً أنّ مِن المستغرب حقاً أن يكون الريّس قد تَوهَّم أنّ بمقدور مجلة ثقافية مستقلّة (أو تسعى إلى الاستقلال) أن «تحقّق أرباحاً» أو أن «تردم» كلّ خسائرها، ولاسيّما إذا كان دأب هذه المجلة «المعارضة والمشاكسة والتحدّي» (حسب قول السيد عماد العبدالله في **الملحق**) ومحاربة الرجعيين والظلاميين والنظام العالمي الجديد والتطبيع و ... (كما يقول الريّس). وأما الخطوات التي أقترحها فهي التالية:

أ – إصدار ٦ – ٨ أعداد سنوياً بدلاً مِن اثني عشر عدداً. صحيح أنّ «فاعليّة» **الناقد** التي يهجس بها الريّس ستقلّ، ولكنّ فاعليةً أقلّ أفضل من لافاعليّة على الإطلاق!

ب – رفع سعر **الناقد** إلى ما يتجاوز كلفتها، ولو بقليل (فليكن سعرها، مثلاً، ستة آلاف ليرة لبنانية). ولا ريب أنّ لزيادة سعرها ما يبررهُ بعد ارتفاع أثمان الورق ارتفاعاً فاحشاً. ولا شك عندي أيضاً في أنّ محبّي **الناقد** لن يبخلوا على مجلّتهم بثمن فنجان قهوة إضافي. ولا مانع أخيراً مِنْ أن نطلب مِن القرّاء أن يتحمّلوا مسؤوليتهم في الإبقاء على صوتِ ما يحبّون عالياً.

ج – الاستغناء عن فرز ألوان الأغلفة الأربعة، وعن السيلوفان، والورق المقوّى؛ وهو ما سيخفض كلفة **الناقد** بضع مئات مِن الدولارات. ولا أدري إذا كان فنّانو الغلاف الأوّل يتقاضَوْن مكافأةً على لوحاتهم أم أنّهم يقدمونها إلى **الناقد** مجاناً؛ ولكنّي لا أرى مبرّراً على كل حال لوضعِ لوحة فنية على غلاف مجلة ثقافيّة دون أن يكون ثمّة رابطٌ بين اللوحة ومضمون المجلة. والحقّ أني لستُ ضدّ إدخال الفنّ إلى مجلة ثقافيّة؛ بل لعلّه أمرٌ ضروري اليوم مع تداخل الفنون وتشابكها. ولكنّي أعتقد (وقد أبدو تقليدياً ههنا)أنْ لا معنى فعلياً لوجود لوحة فنّية على الغلاف دون أن يكون في المجلة نفسها ما يشرح ظروفَ نشأة هذه اللوحة، أو يضيءَ جوانبَ منها، أو يبرزَ علاقةً ما بين اللوحة والنصوص الأدبيّة في المجلة. بل إنّ أسرة تحرير **الناقد** تسلب اللوحةَ الفنّية من اسمها أو عنوانها، وتكتفي باسم راسمها وجنسيّته. اللوحةُ الفنّية، هَهنا، تعيش في مجلة **الناقد** اغتراباً مزدوجاً: اغتراباً عن نشأتها، واغتراباً عن هويّتها. أنا لستُ ناقداً فنّياً، ولكنْ ألا ترَوْن معي أننا إزاء شيء مِن تسليع الفنّ؟ فكأنّ عناوين المقالات وأسماء الأدباء والشعراء لا تكفي لشدّ انتباه القرّاء، فتأتي الرسوم لتحتلّ المساحة الكبرى ولتُهمِّشَ الأسماءَ والعناوين إلى الجانب الأيسر... بل تقذف بها أخيراً إلى غلاف المجلة الأخير. ولا أدري لِمَ قفزتْ إلى ذهني للتوّ صورةُ تلك الفتاة الشقراء في إعلان سجائر "Lucky Strike" مع صديقها الأشقر يركبان دراجة ناريّة، وفي أسفل الصورة كُتب بخطٍّ لا يكاد يبين: «وزارة الصحة تحذّرك مِن التدخين»![٤].

د – التخفيف مِن الرسوم الدّاخِليّة، ولاسيّما «الخربشات» (وعذراً مِن الفنّانين) التي لا علاقة لها على الإطلاق لا بمضمون المقالة أو

---

(٣) سبق للأستاذ الريّس أن رفض ردَّ سبب حجبه لـ «الجوائز»، التي كان يقدّمها للشعراء والروائيين المبدعين، إلى العامل المادّي؛ وعَمد إلى ردّه إلى عجز هذه الجوائز – إذّاك (الآن؟) – عن أنْ تكشف «مواهب شعرية وروائيّة ذات مستوى يمكن أن يساهم في تغيير خريطتَي الشعر والرواية في العقد المتبقّي مِن هذا القرن على الأقل»! (**الناقد**، العدد ٦١، تموز ١٩٩٣، ص٥).

(٤) أدين بتعليقي «الفني» القصير إلى زوجتي كيرستن، التي تعدّ بحثاً مطوّلاً عنوانه «الاهتمام الذي يُوليهِ العربُ للفن».

القصّة ولا بالفنّ. ومِن نافِل القول، هنا أيضاً، إنّ هذه الرُسوم الداخلية تسيء للفنّ، وللفنّان نفسه، وبخاصة حين نعلم أنّها – في معظمها – غُفْلٌ مِن التوقيع. والمفارقة هنا أنّ الفنّ في هذه الحال هو الذي يُهَمَّش (جنباً إلى جنب مع «مُبْدِعِهِ»)، في حين كانت أسماء المؤلفين وعناوين مقالاتهم هي التي تُهَمَّش على الغلاف الأساسي!

هـ – تقليل عدد المحرِّرين. وعلى الرغم مِن أنّي لا أعرف عددهم الحقيقي، فإنّي أعتقد أنّ الاستغناء عن بعض الأبواب والزوايا السطحيّة (وأحياناً الرديئة) قد يفيد في تخفيض تكاليفِ التحرير. وأقترح – بوصفي قارئاً دائما لـ **الناقد** – على **الناقد** بصيغتها الجديدة المنتظرة (إنْ شاء الله) أن لا تُعيد إلى الحياة الأبوابَ التالية: «دليل **الناقد** إلى الكتاب الرديء»، و «قراءات **الناقد**»، و «عين **الناقد**» ... ولاسيّما أنّ الباب الأخير قد تَحوَّل في الآونة الأخيرة إلى هجوم عشوائيّ على الأصوليين ونزار قباني وسعاد الصبّاح[٥].

و – إرسال نسخ قليلة لبلدان الرقابة العربية الميمونة قَبْل إرسال النسخ الكاملة إليها، كي لا يضيع المالُ والجهد عبثاً (ولعلّ علينا نحن في **الآداب** ان نُلزمَ أنفسنا بهذا الإجراء، قبل أن ننصح زملاءنا به!)

* * *

إنّ تـطـرُّف **الناقد** في أطروحاتـهـا الحداثية في مواجهة الرجعيين والظلاميين وأعداء الانفتاح الفكري، سواء أكان مثل هذا التطرف حقيقةً أم مبالغةً، لهو من الأسباب التي تدعو إلى استمرار **الناقد** لا حجبها ... بل لعلّ هذا التطرُّف هو المبرّر الأبرز لمثل هذا الاستمرار. فما معنى أن تحتجب **الناقد** في وقتٍ تدوس فيه جيوشُ الرجعيّة والظلام على كتب الصادق النيهوم، وهو واحدٌ من أبرز كتّاب **الناقد** إنْ لم يكن أبرزهم على الإطلاق؟ وما معنى أن تحتجب **الناقد** في وقتٍ يُصدر القضاة الظلاميون قراراً بتفريق نصر حامد أبي زيد عن زوجته؛ والمعلوم أنّ أبا زيد قد كتب في **الناقد** مراراً، وكانت المرّتان الأخيرتان في تموز وآب الماضيين؟ ألا يُعتبر تغييبُ **الناقد** تقاعساً عن مواجهة «أعداء الانفتاح الفكري» وخدمةً لـ «جيوش الرجعية»؟

وهل حقاً يكفي أن «تكتشف **الناقد**» كتّاباً جدداً وتُعطي إلى مُبدعين جُدُد «مفاتيحَ الدخول إلى عوالم الثقافة المتعددة» كي تزعم أنّ «مُهمتها انتهت»؟ ومن الذي يضمن أنّ «كواليس النفاق والنميمة» التي أوصلتِ البعض إلى «عوالم الثقافة المتعددة» قد امّحَتْ عن بكرة أبيها بفضل السنوات السبع التي حرّكت خلالها هذه المجلةُ «قدرَ المستطاع، مستنقعَ الثقافة العربية الآسن»؟[٦]. بل من يُقرّرُ أصلاً أنّ مهمة مجلةٍ ما قد انتهت؟

إنْ كان العاملُ المقرّر هو عدد الكتّاب، فإنّ **الناقد** في عددها الأخير تشهد أنّ معينهم لم ينضب (أكثر من ٤٥ كاتباً، عدا الرسّامين).. وإنْ كان هو النوعيّة والشهرة فإنّ بينهم مَنْ لَهُ تاريخ طويلٌ في الكتابة والإبداع والنضال، أوْ أثْبت جدارته واكتشافاته على صفحات **الناقد** نفسها (أنسي الحاج، أنيس صايغ، يحيى أبو زكريا، زياد منى، حسن حنفي، عبد الواحد لؤلؤة، عبد الله أبو هيف، نوال السعداوي، محمد زفزاف، جلال خوري، شوقي بغدادي، ابراهيم صموئيل) .. وإن كان ما يقرّر هو مواءمة المقالات للأحداث ومعاصرتَها إياها فإنّ العدد الأخير مِن **الناقد** لا يبخل بذلك أيضاً[٧].. وإن كان العامل المقرّر هو عدد القرّاء، فأنا أعتقد أنّ طبع خمسة آلاف إلى سبعة آلاف نسخة شهرياً من مجلة ثقافية لا تَصدر عن مؤسسة رسمية لَهُوَ أمرٌ ممتاز؛ بل إنّ مجلة **الآداب** في أيام «ازدهارها» وحين كانت «أكثرَ فعاليّة من وزارات الثقافة العربية مجتمعة» كما يقول محرّر / محرّرا «قراءات **الناقد**»[٨] لم تَطبع في حدّ علمي أكثر من عشرة آلاف نسخة.. وأما إذا كان العامل المقرّر هو «حسن وفادة بيروت» لـ **الناقد** القادمة مِن بلاد الاغتراب، فأنا حقاً لا أدري كيف تُحسن مدينةٌ وفادةَ مجلة! هل تسير صحفُها ومجلاّتها وأعمدتها وتماثيلها ورِمال شواطئِها ومقابرُ الأموات فيها وأزهارُها وأشجارُها إلى بيت رئيس تحريرها لتكافئه على انتشالها مِن «مستنقع الثقافة العربية الآسن» وعلى إعطاء كتّابها المبدعين الجدد «مفاتيحَ الدخول إلى عوالم الثقافة المتعدِّدة»؟ ألا يكفي **الناقد**، شهادةٌ عن حسن وفادة بيروت لها، أن يكتب فيها مئةٌ وسبعة وتسعون كاتباً لبنانياً؟

بل هل قرّرَ الأستاذ الريِّس أصلاً أن مهمة **الناقد** قد انتهت حقاً؟ أطرحُ عليه هذا السؤال لأنّه في نهاية مقاله يؤكّد سَعْيَه وراء «صيغة جديدة ... تتناسَب مع المتغيِّرات ... التي تواجه العالم العربي». فإما أنّ المجلة الفاعلة «تؤدي دورها» و«ترحل»؛ وإمّا أنّها قادرة على التجدّد وتفعيل ذاتها في مواجهة المستجدّات. لكنْ أن يتعايش الموت والحياة على صفحتيْن اثنتيْن، فأمرٌ كنّا نظنّه مِن المستحيلات![٩]

* * *

غير أنّ الأستاذ الريِّس يشعر – كما يخيل إليّ – أنّ الاسباب التي قدَّمها لشرح احتجاب **الناقد** غير كافية، فراح يستلّ مِن جعبته أسباباً أُخرى ذات طبيعة مختلفة هذه المرّة.

«كل الأشياء الجميلة لا بدَّ لها مِن نهاية». هذا ما يقرِّره رياض الريِّس في نبرةٍ قد توحي للوهلة الأولى بفلسفيَّتِها وشاعريَّتِها، قبل أن يردف قائلا: «و**الناقد** واحدةٌ مِن هذه الأشياء الجميلة»[١٠].

---

(٥) راجع، على سبيل المثال لا الحصر، زاوية «عين **الناقد**» في الأعداد التالية: ٦٢، ٦٤، ٧٤، ٨٤.

(٦) كل المقتطفات مأخوذة مِن افتتاحية رياض الريِّس (**الناقد**، العدد ٨٤، ١٩٩٥، ص ٤ – ٥).

(٧) راجع على سبيل التخصيص المقالات التالية: مقالة أنيس صايغ عن الجامعة العربيّة، ومقالة يحيى أبو زكريا عن الأصولية في الجزائر، ومراجعة زياد منى لكتاب كمال الصليبي الذي لم يُعرَّبْ بعد ...

(٨) **الناقد**، العدد ٧٤، آب ١٩٩٤، ص ٧٢.

(٩) يجب التنويه، في هذا الصدد، إلى أنّ الاستاذ يوسف بزّي (وهو أحد محرّري **الناقد**) لم يقع في مثل هذا التناقض رغم اتفاقه مع «المعلّم» على النتيجة نفسها، وهي إغلاق المجلة. فبزّي يقول في إشارة إلى الطلاب الذين يوّرشفون **الناقد**: «هل عرفوا أنّنا قدّمنا كُلّ ما عندنا، فأصبحنا صالحين للطيّ في الملفّات وبين سطور التدريس؟» (**الملحق**، ص ٧).

(١٠) الافتتاحية، ص ٤.

بالطبع لن نأخذ الأستاذ الريّس، مِن جديد، بما سَبَق أن أكّده مِن سَعْي إلى «صيغة جديدة» تمسح «التعبَ والتململ» و «التشوُّه والابتذال» عن وجه **الناقد** ... وهو ما يناقض قوله إنّ كُلَّ جميل يموت. ولكنّي أودّ أن أسأله: اذا كان الموت نهايةَ كل جميل (وبالمناسبة، فالموت نهاية كل شيء، سواء أكان جميلاً أم قبيحاً!)، فلماذا يَخلق الانسان كُلَّ يومٍ ما يحبّه؟ هل الموت الطبيعي – حتفَ الأنف، كما يقولون – مبرِّرٌ للانتحار؟!

ثمّ من قال إنّ كلّ الأشياء الجميلة – على الصعيد الثقافي مثلاً – لا بدّ لها مِن نهاية؟ بمقدوري الآن أن أعطي الأستاذ الريّس عشرين مثلاً على أشياء جميلة (أو أنا أراها كذلك) مازالت صامدةً وجميلةً رغم كلّ الصعوبات والمآزق. فمجلة MERIP مثلاً، وهي مجلة أميركية تعنى بشؤون الشرق الأوسط وتتّسم بنزعة تقدمية موالية للحقوق العربيّة ومعادية لـ «اسرائيل» وللنظام العالمي الجديد، مازالت مستمرة رغم تعثّرها أخيراً. ونعوم تشومسكي مازال يخطب أمام الناس، وفي الجامعات، والكنائس ... وما زال يحتشد أمامه مئات الطلاّب. والحركات النّسوية التقدميّة اخترقت الحقلَ الأكاديمي وأنزلته إلى الشارع، كما كان فوكو أو سارتر (اللذان يستشهد بهما الأستاذ الريّس) يفعلان في الستينات. وفي عالمنا العربي، هناك الكثير الجميل الذي يصرّ على الحياة ويصرّ على الجمال: مسرح بيروت، مجلة **أدب ونقد**، سعد الله ونّوس (الذي قدّم في الآونة الأخيرة أجملَ ما كتبه على الإطلاق رغم مرضه الشديد) ... كي لا أقول مجلة **الآداب** (وأحسبك الآن تقهقه لأنّك تعتبر أنّها تعيش في «غيبوبة»). ولعلّك تعلم، من خبرتك الطويلة، أنّ الجمال ليس رهناً بالشروط الحياتية وحدها، بل هو أيضاً رهنٌ بالإرادة الإنسانية وبالتصميم على الحياة والنضارة.

وأمّا جملتك الفلسفيّة فقد يحقّ لك أن تطلقها – مململاً وتبرُّماً – بعد عشرين أو ثلاثين أو أربعين أو خمسين عاماً؛ لكنّ سبع سنوات «عِجاف» [بالإذن من الزميل بلال خبّيز[11]] غيرُ كافية للحكم على عمل جميل بالموت رغم حسن تقبُّله مِن لدن الجمهور. فالرب هو الذي يتعب في ستة أيّام لأنّه خَلَقَ العالم، لكنّك – يا أستاذي الكريم – لم تخلق العالم «كي تستريح في السنة السابعة»، وإن كنتَ قد حَرَّكْتَ قدرَ المستطاع «مستنقع الثقافة العربية الآسن»![12].

وأما القول بأنّك أفسحتَ صدر مجلتك للكتّاب ليكتبوا بحرّية ثم خذلوك، فذلك لا يعني ان تنكفئ، بل يعني أحدَ أمرَيْن: إمّا أن تُواصل «تحريضهم» على الثورة على ذواتهم؛ وإمّا أنّهم لا يريدون أن يُفصحوا عمّا في ذواتهم كما تريد أنت، وأنّ عليك – بالتالي – أن تحترم إرادتهم. ومن الغريب أنّ الأستاذ الريّس مصرّ على موضوعة الرقابة الذاتية التي يمارسها الكتّاب على أنفسهم؛ فقد سبق له منذ السنة الأولى لصدور **الناقد** أن كتب ما يلي: «هاهُنا في **الناقد** نقول لهم: اكتبوا بحرّية، فلا يجيبونكَ إلاّ بالعادِيّ مِن الكلام، لأنّ أنظارهم قد وَقَعَتْ خطأً على كلمةٍ [المقصود: الحرّية] ما عادوا يألفونها»![13]. لا أحد يُنكر، أيها الأستاذ الكريم، وجود رقابة ذاتيّة في الكاتب العربيّ لكنّ مِن الصّعْب جداً تحديدها؛ ومِن الخطإ الادّعاء بأنّها تنعدم لدى الكاتب في العالم «المتقدّم» نفسه. لكنْ أيّاً يكن الأمر، فإنّ وجود مثل هذه الرقابة يجب ألاّ يدفع رئيس تحرير مجلة «مشاكسة ومتحدية» كـ **الناقد** إلى الاستسلام لها، وإلى رَمْي المثقفين بالجبن والهَوان؛ وإلاّ فقدت هذه المجلة مصداقيتها ومبرّر وجودها أصلاً!

* * *

قد تكون «**الناقد** غلطة مِن متفائل عنيد ...»[14]. وما يفسِّر تفاؤلَ الأستاذ الريّس أنّهُ تَوهَّمَ أنّ التطوّرات التي أعقبت تصدّع «الامبراطوريّة السوفياتية» و «مؤتمر مدريد» للسلام تُبشّر «بحلّ عادل لأطول حربٍ عرفها القرن العشرين» (أيُّ رهان هو هذا!). ومع ذلك فإنّ الغلطة لا تُصحَّح بغلطة ثانية. وقد كان الأستاذ عماد العبد الله على حقّ حين صرخ: «توقُّفُ **الناقد** يعني لي، رغم كلّ المبررات، عمليةَ خَنْقٍ بقفّازات بيضاء وثرثرةٍ لا يجيدها سوى الذين أدمنوا على وأد الحريّة في عالمنا العربيّ الكئيب، ويحدثونك بعد هذا عن العام ٢٠٠٠!»[15].

أتمنّى ألاّ تطول «إعادة ترتيب بيت **الناقد**» وأن تعود إلى ساحة الفعل الثقافيّ، بجرأتها المعهودة، وبقدرٍ أعظم مِن الجدّيّة، وبقدرٍ أقلّ مِن الادّعاء. صحيح أنْ «لا أحد منا عنترة ابن شدّاد يريد أن يتصدّى لعساكر الإغريق أو الأباطرة المغول»[16]، لكنّ الاحتجاب أو الغياب في مثل هذه الأوقات تحديداً سيحوّلان المثقف إلى واحدٍ مِن «تنابلة السلطان» ... والأستاذ الريّس كان قد أكّدَ لنا أنّ زمننا هذا ليس «زمان السكوت» ولا «ملازمة البيوت»[17]!

بيـروت

---

(١١) **الملحق** ص ٤ .

(١٢) تُلاحَظ في افتتاحية **الناقد** نبرةُ استعلاء لا يحجبها شعورُ الريّس بالهزيمة. وتمتزج هذه النبرةُ أحياناً ببعض المعاني الدينيّة؛ ولعلّ من الطريف أن نرصد خطأً مطبعياً ورد في الافتتاحية ص ٥، إذ يقول الريّس: «ألم كانت **الناقد** تقدّم بين سنة وأخرى ... بياناً عن أصابعها ...». وقد حاولتُ مراراً أن أؤول المقصود، حتى اهتديتُ إلى الحل، وهو: أن الريّس لم يقصد القول «ألَمْ» بل «ألف لامْ ميم» مِن الآية ﴿ألم، ذلك الكتاب لا ريبَ فيه هدىً للمتقين﴾! وأما فكرة «الأمانة» للتعهّد (الافتتاحية، ص ٥) فهي الأخرى لا تخلو مِن مغزى ديني ﴿إنّا عَرَضنا الأمانةَ على السموات والأرض ...﴾

(١٣) **الناقد**، العدد الرابع، السنة الأولى، ص ٥ .

(١٤) يوسف بزّي، **الملحق**، ص ٧ .

(١٥) المصدر السابق، ص ٨ .

(١٦) رياض نجيب الريّس، **الناقد**، العدد الرابع، ص ٥.

(١٧) رياض نجيب الريّس: «زمان السكوت وملازمة البيوت!»، **الناقد**، العدد ٥٨ ، نيسان ١٩٩٣، ص ٨٠ . وكل ما وقع بين قوسين في الجملة الأخيرة هو من كلام الريّس.